برغشة، أن تملأ الأرض والسماء في خلال قرون معدودات، ولما كان لباقي الكائنات من مجال للوجود.

أم هنالك من يستطيع أن يتخيّل فكراً يدأب بغير انقطاع وعلى مدى العمر - إن لم نقل مدى الزمان - وراء غاية واحدة؟ أم شهوة مشبوبة تتلظّى منذ الولادة حتى الموت فلا يخمد أوارها لحظة من العمر؟

لذلك كان التخدير حكمة تفوق حدّ التصوّر. فالاستمرار في عمل واحد، أو في حركة واحدة، أو فكر واحد، أو رغبة واحدة استمراراً لا نهاية له ولا انقطاع فيه أمر يفوق طاقة الإنسان والحيوان والنبات. ومن ثمّ فهو لا يؤدي بالكائنات إلى معرفة الحياة من كلّ وجوهها معرفة كاملة صافية. ونحن لولا أملنا بمثل تلك المعرفة لما كان من مسوغ لوجودنا.

كأنّي بالحياة تجرّعنا المعرفة جرعة جرعة، مثلما تعلّمنا المشي خطوة خطوة والنطق حرفاً حرفاً. ثمّ تجعل لنا بين الجرعة والجرعة فترة استراحة أو تخدير تمكننا من «هضم» ما جرعناه، على حدّ ما تفعل بنا بعد كلّ وجبة من الطعام وبعد كل فكر وشهوة وعمل. فنحن إذ نأكل ونشرب لا نقضي على شهوة الأكل والشرب فينا، ولكننا نخدّرها إلى